بسم الله الرحمن الرحيم

والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، محمد وآله الطيبين الطاهرين

واللعن الدائم على أعدائهم أجمعين إلى قيام يوم الدين

قال الله تبارك وتعالى: **{الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ}** [سورة البقرة، 3].

والبحث حول عنوان الغَيْب في عدّة مطالب:

المطلب الأول: في تحليل مفهوم الغيب في القرآن الكريم.

الغَيْبُ في اللغة: ذكر ابن فارس في معجم مقائيس اللغة: **((غَيَبَ) الْغَيْنُ وَالْيَاءُ وَالْبَاءُ أَصْلٌ صَحِيحٌ يَدُلُّ عَلَى تَسَتُّرِ الشَّيْءِ عَنِ الْعُيُونِ، ثُمَّ يُقَاسُ. مِنْ ذَلِكَ الْغَيْبُ: مَا غَابَ، مِمَّا لَا يَعْلَمُهُ إِلَّا اللهُ. وَيُقَالُ: غَابَتِ الشَّمْسُ تَغِيبُ غَيْبَةً وَغُيُوبًا وَغَيْبًا. وَغَابَ الرَّجُلُ عَنْ بَلَدِهِ. وَأَغَابَتِ الْمَرْأَةُ فَهِيَ مُغِيبَةٌ، إِذَا غَابَ بَعْلُهَا. وَوَقَعْنَا فِي غَيْبَةٍ وَغَيَابَةٍ، أَيْ هَبْطَةٍ مِنَ الْأَرْضِ يُغَابُ فِيهَا. قَالَ اللهُ – تَعَالَى – فِي قِصَّةِ يُوسُفَ – عَلَيْهِ السَّلَامُ –: {وَأَلْقُوهُ فِي غَيَابَةِ الْجُبِّ}** [يوسف: 10]. **وَالْغَابَةُ: الْأَجَمَةُ، وَالْجَمْعُ غَابَاتٌ وَغَابٌ. وَسُمِّيَتْ لِأَنَّهُ يُغَابُ فِيهَا. وَالْغِيبَةُ: الْوَقِيعَةُ فِي النَّاسِ مِنْ هَذَا، لِأَنَّهَا لَا تُقَالُ إِلَّا فِي غَيْبَةٍ).** [معجم مقائيس اللغة، ابن فارس، المحقق: عبدالسلام محمد هارون، دار الفكر، عام النشر: 1399هـ – 1979م.، ج4، ص403].

وقد ورد لفظ "الغَيْب" في القرآن الكريم في ستين موضعاً باشتقاقاتٍ مختلفة، والمعنى العام للغيب في القرآن الكريم: ما غيبه الله وستره عن عباده.

لكن هذا المفهوم العام له عدَّةُ مصاديق تحدثت عنها الآيات المباركات، ويمكن فهمها من خلال القرائن السياقية:

المصداقُ الأوّل: الوحي، قال تبارك وتعالى: **{وَمَا هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بِضَنِينٍ}** [سورة التكوير، 24] أي: ليس الرسول بخيلاً على الوحي بل إنّه يبذل الوحي لمن يتعلمه مِنْ دُونِ مِنَّةٍ.

المصداقُ الثاني: حوادث القدر، قال الله تبارك وتعالى: **{قُل لَّا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لَاسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ}** [سورة الأعراف، 188].

المصداقُ الثالث: العلم الذي استأثر الله تعالى به لنفسه ولَمْ يطلع عليه أحداً من مخلوقاته، كما في قوله تبارك وتعالى: **{وَعِندَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ}** [سورة الأنعام، 59]، وقوله تبارك وتعالى: **{أَمْ عِندَهُمُ الْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُبُونَ}** [سورة الطور، 41] أي: الغيب الذي استأثر به الله تعالى لنفسه.

المصداقُ الرابع: غيبة الزوج عن الزوجة، قال الله تبارك وتعالى في مدح المؤمنات: **{الصَّالِحَاتُ قَانِتَاتٌ حَافِظَاتٌ لِّلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللَّهُ}** [سورة النساء، 34]، وقال عن لسان زوجة عزيز مصر: **{ذَٰلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ}** [سورة يوسف، 52]، فإنّ هذا المصداق هو عبارةٌ عن عدم خيانتها لزوجها أثناء غيابه عنها.

المصداقُ الخامس: وعاءُ علمٍ غير متاح، كما في قوله عزّ وجلّ: **{وَقَدْ كَفَرُوا بِهِ مِن قَبْلُ وَيَقْذِفُونَ بِالْغَيْبِ مِن مَّكَانٍ بَعِيدٍ}** [سورة سبأ، 53].

وقد فسرها الفخر الرازي بأنّ المراد بالغَيْب في هذه الآية هو الظن، حيث قال في تفسيره: (**وَأَمَّا الْكَافِرُ فَهُوَ يَقْذِفُ بِالْغَيْبِ، أَيْ يَقُولُ مَا لَا يَعْلَمُهُ**) [التفسير الكبير، الفخر الرازي، ج25، ص217].

وليس هذا تفسيراً صحيحاً؛ وإنّما المراد بالغَيْب هنا محاولة الحصول على علمٍ غيرِ متاح، فقوله عزّ وجلّ: **{وَيَقْذِفُونَ بِالْغَيْبِ}** أي: يحاولون أنْ يصلوا إلى علمٍ ليس متاحاً لهم، كما في قوله تبارك وتعالى: **{سَيَقُولُونَ ثَلَاثَةٌ رَّابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْمًا بِالْغَيْبِ}** [سورة الكهف، 22] أي: محاولةً للوصول إلى معلومةٍ ليست متاحةً لهم بل هي محجوبةٌ عنهم.

المصداقُ السادس: السر أو الساعة، قال الله تبارك وتعالى: **{إِنَّ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ}** [سورة الملك، 12].

حيث ذكر للآية الشريفة تفسيران:

التفسيرُ الأوّل: أنّ المراد بالغَيْب هنا يوم القيامة، فمعنى **{الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ}** أي: يخشون ربهم مخافة ذلك اليوم، المعبر عنه بالغَيْب.

التفسيرُ الثاني: أنّ المراد بالغَيْب هنا السر، أي: الذين يخشون ربهم سراً لا أنّهم يظهرون الإيمان علناً ويخالفونه سراً، بل إنّهم يخشون ربهم حتى في حالة السر.

وبالجملة: فالغَيْبُ ما غَيَّبَهُ الله سبحانه وتعالى عن عباده وله مصاديق ستة تعرض لها القرآن الكريم، قال عنها عزّ من قائل: **{عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِ أَحَدًا * إِلَّا مَنِ ارْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا}** [سورة الجن، 26 – 27].

المطلب الثاني: مناقشة منشأ التشكيك في عالم الغَيْب.

لقد اشتهر لدى بعض الماديين التشكيك في وجودِ عالمٍ يسمى بـ "عالم الغَيْب"، فما هو منشأ التشكيك؟

إنّ منشأ التشكيك في وجود عالم الغَيْب هو الاستناد للوجود المادي الحسّيّ؛ حيث يُقال لدى كثيرٍ من الماديين: "ما ليس محسوساً فالإيمان به ليس إيماناً علمياً"، فإنّه إيمان بما لا يمكن وصوله إليه، فمقتضى المنطق العلمي أنْ لا يؤمن الإنسانُ بأيّ شيءٍ إلّا إذا أمكنه الوصول إليه ونيله، وإلّا فالإيمان بما ليس ممكن الوصول أو بما ليس داخلاً تحت إطار الحسّ ليس إيماناً علمياً.

ولكن لدينا عدَّة وجوهٍ لبيان أنّ هذا المنشأ ليس منشأً بُرهانياً:

الوجهُ الأوّل: مِن البراهين العقلية الواضحة: "معرفةُ الأشياء بأضدادها"، وهو أنّ طبيعة الذهن البشري لا يمكن أنْ يتعرف على الأشياء إلّا بالمقارنة مع أضدادها.

فمثلاً: السمكةُ التي تعيش في البحر لا تعرف اليابسة ما لم تنتقل إلى اليابسة؛ لأنّه لا قدرة لها على المقارنة؛ باعتبار عدم وجود بيئةٍ يابسةٍ كي تقوم بالمقارنة بينها وبين البحر لتتعرف عليها من خلال المقارنة.

وكذلك الجنينُ في بطن أُمه لا يمكن أنْ يتعرف على الكائنات المتحركة؛ لأنّه لا يعيش إلّا في هذا العالم.

وكذلك لو كان الكون كلّه ظلاماً لَمْ يتعرف الإنسان على النور، ولو كان الكون كلّه نوراً لَمْ يتعرف الإنسان على الظلام.

فإنّ بطبيعة الذهن البشري لا يمكنه أنْ يتعرف على الأشياء إلّا بالمقارنة مع أضدادها كي يكون ذلك طريقاً للوصول إلى معرفتها.

فالاستنادُ للوجود الحسّيّ للإنسان وما حولّه مما تصله الحواس الخمس مرجعه إلى: "أنّ الإنسان ما دام محاطاً بالحسّ فلا يمكنه معرفة ما ليس حسيّاً" وهذا المطلب صحيح؛ إذ ما خرج عن الحسّ لا يمكن معرفته معرفةً حسِّيَّة.

ولكن: لا ملازمة بين عدم إمكان معرفة ما ليس بحسٍّ معرفة حسِّيَّة وبين كون الإيمان بما ليس بحسٍّ ليس إيماناً علمياً، فهؤلاء الماديون انتقلوا مِن دعوى صحيحة إلى دعوى غير مبرهنة، فالدعوى الصحيحة: أنّ ما ليس بحسٍّ لا يمكن معرفته معرفة حسِّيَّة، لكن هذا لا يُنتج أنّ ما ليس بحسٍّ يكونُ الإيمانُ به إيماناً غير علمي إلّا إذا انحصر الإيمانُ العلمي بما أمكن نيله بالحسّ.

وهذه مصادرة واضحة مُوجبة لانقلاب طرف الدعوى إلى جهة المنكر؛ حيث إنّ المؤمن بالغَيْب مستندٌ لقضية عقلية وهي: "عدم الملازمة بين ما لا يمكن معرفته معرفة حسِّيَّة وما لا يمكن الإيمان به"، فإنّ نفس هذه القضية العقلية وهي "ما لا ينال بالحسّ لا يمكن معرفته معرفة حسِّيَّة" هي ليست حسِّيَّة ومع ذلك يؤمن الإنسان بها إيماناً جازماً، بينما المنكر للإيمان بالغَيْب هو طرف الدعوى؛ لزعمه حصر الإيمان بما هو في إطار الحسّ؛ حيث يُقال له: ما هو دليلك على انحصار الإيمان العلمي بما كان تحت الحسّ؟

الوجهُ الثاني: إنّ الدليل الإِني وهو: "الإنتقال من الأثر للمؤثر ومن الظواهر العرضية إلى إدراك الجوهر" هو البرهانُ على عدم حصر اليقين البرهاني بالمحسوس؛ فهناك كثيرٌ مِن الوجودات سواء كانت وجودات مادية أم نفسية أم عقلية لا يمكن الوصول إليها بالحسّ، ومع ذلك يؤمن الإنسان بها نتيجة إتباع الدليل الإِني وهو الاستدلال بالأثر على المؤثر وبالظواهر العرضية على الجوهر.

فمثلاً: **مِن الوجودات المادية**: "الجُسيمات تحت الذرية"، وما يحتوي عليه هذا العالم الخفي من: "الكواركات، والالكترونات، والبرتونات، والنيوترونات" مما لا يمكن نيله بالحسّ إطلاقاً، ومع ذلك آمن به الإنسان إيماناً يقينياً نتيجة إتباع الدليل الإِني.

وإلّا فلا يمكن تطبيق الفيزياء الكلاسيكية "فيزياء نيوتن" عليه، بل لابُدَّ في اكتشافها قوانين أُخرى وهو ما يعبر عنه بـ "فيزياء الكم".

ومِن الوجودات النفسية: إيمانُ الإنسان بمحبة أُمه له وهو مما لا يمكنه أنْ يصل إلى جوهره، أو بغض عدوه له وهو مما لا يمكنه أنْ يصل إلى جوهره، وإنّما عن طريق الدليل الإِني وهو الانتقال مِن الأثر للمؤثر.

ومِن الوجودات العقلية – التي يُؤمن بها الإنسان مع أنّه لا يصل إليها بالأدوات الحسِّيَّة –: العقلُ الباطن، فقد اتفقتْ مدارس علم النفس على عقلٍ ظاهرٍ وعقلٍ باطنٍ، والعقلُ الباطن الذي هو وعاءُ الميول والنزعات والذكريات المنطوية للإنسان مما لا يمكن الوصول إليه بالأدوات الحسِّيَّة ولا بالأدوات الوجدانية، ومع ذلك آمن به الإنسان عن طريق الدليل الإِني وهو الانتقال من الظواهر لإدراك الجوهر أو من الأثر للمؤثر.

الوجهُ الثالث: قد قام البرهانُ العلمي على أنّ الزمكان – أي: الزّمان والمكان – حادثٌ ببركة الانفجار العظيم؛ إذ قبل الانفجار العظيم أي: قبل ثلاثة عشر مليار سنة تقريباً لَمْ يكن هناك زّمانٌ ولا مكان مما يؤكد أنّ الزّمان والمكان أمرٌ حادثٌ.

وبناء على هذا، يتبين بذلك أمران:

الأمرُ الأوّل: أنّ المحاط بالزمكان، وكلّ الموجودات المادية محاطةٌ بالزمكان، لا يمكنه الخروج منهما، ومنها الإنسان فإنّه ما دام محاطاً بذلك فكلُّ سجين لا يمكنه أنْ يَنال ما وراء سجنه، وهذا أمرٌ ثابتٌ.

الأمرُ الثاني: بما أنّ الزمكان حادثٌ، فوراء الزمكان وجود؛ إذ لا يعقل أنْ يوجد الزّمن والمكان مِن لا شيء؛ فإنّ العدم لا يولدُ وجوداً، وهذا ببداهة البرهان العقلي، فبما أنّ العدم لا يولدُ وجوداً والزمكانُ وجودٌ، فلا محالة وراء الزمكان وجودٌ استند إليه وجود الزّمان والمكان، أي: أنّ وراء الزمكان قوةٌ هي علمٌ، وقدرةٌ، وحياةٌ أبدعت عالم الزمكان بسائر تفاصيله، وهذه القوة التي أبدعت عالم الزمكان هي المعبر عنه بـ "الغَيْب"، فالإيمان بأنّ الزمكان حادث يفضي يقيناً وجزماً إلى الإيمان بالغَيْب، أي: يفضي إلى الإيمان بوجودٍ مصدرٍ وراءَ عالم الزمكان لا محالة.

وهذا يعني أنّ الإيمان بالغَيْب إيمانٌ علمي اقتضاه البرهان، لا أنّ الإيمان ليس علمياً كما ذكره بعض الماديين الملحدين.

المطلب الثالث: في العلاقة بين عالمِ الغَيْب وعالمِ الشهادة.

قال الله تبارك وتعالى: **{عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ}** [سورة الأنعام، 73]، وقال سبحانه وتعالى: **{عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْكَبِيرُ الْمُتَعَالِ}** [سورة الرعد، 9]، وقال عزّ وجلّ: **{عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ}** [سورة المؤمنون، 92]، وقد ورد هذا التعبير في عددٍ من الآيات القرآنية الشريفة.

فما هي العلاقة بين عالمِ الغَيْب وعالمِ الشهادة؟

ليس العالمان وجودين منفصلين بينهما علاقة التلازم أو علاقة التقارن، كعلاقة الإنسان بمكانه أو علاقة الإنسان بزمانه – مثلاً – فإنّ هذه علاقة تقارن وتلازم، بل علاقة عالمِ الشهادة بعالمِ الغَيْب علاقة "المُحاط بالمُحيط"، فعالمُ الشهادة عالمٌ محاطٌ وعالمُ الغَيْب عالمٌ محيطٌ، أي: أنّ علاقة عالمِ الغَيْب بعالمِ الشهادة علاقة القيومية، وهذه العلاقة هي التي عبر عنها القرآن الكريم بالملك والملكوت، فالملك هو عالمُ الشهادة، قال الله تبارك وتعالى: **{تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ}** [سورة الملك، 1]، والملكوت هو العالمُ المُحيط بهذا العالم القائم عليه والمسيطر عليه، قال تبارك وتعالى: **{فَسُبْحَانَ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ}** [سورة يونس، 83]، أي: أنّ عالم الملكوت منه البدء وإليه الرجوع، وما منه البدء وإليه الرجوع فنسبته لهذا العالم نسبة المُحيط للمُحاط.

فلا حاجز بين العالمين إلّا قصور الإنسان عن إدراك عالمِ الملكوت، وإلّا فعالم الملكوت معنا وبين أيدينا وفوقنا وتحتنا، وهذا هو معنى الإحاطة والقيومية، أي: لا توجد ذرة في عالمِ المادة إلّا وهي محاطةٌ بعالمِ الملكوت فهو معنا وفينا ومنه مبدأنا وإليه مرجعنا، وهذه الإحاطة والقيومية لا حاجز بيننا وبينها إلّا قصور الإنسان عن إدراك ذلك العالم نتيجة انفعال الإنسان بالزمكان، وانفعال الإنسان بالزمكان فهو ما أوجب قصوره عن إدراك ما أحاط به مِن عالمِ الغَيْب المعبر عنه بـ "عالم الملكوت".

فمثلاً: لا يقدر الإنسان أنْ يفتح عينه أمام ضوء الشمس في وقت الظهيرة، لا لوجود حاجزٍ بينهما، فإنّه لا يوجد حاجز بين نظر الإنسان وبين ضوء الشمس، وإنّما الحاجز قصور الباصرة عن إدراك النور فنتيجة انفعال الباصرة بالظلمة أصبحت قاصرة عن مواجهة ضوء الشمس.

وهكذا علاقتنا بعالمِ الملكوت؛ فإنّ عدم إدراكنا لعالمِ الملكوت لا لوجود حاجزٍ بيننا وبينه؛ بل القصور فينا عن إدراكه، ومنشأ قصورنا عن إدراكه هو انفعالنا بهذا العالمِ المادي ألّا وهو عالم الزمكان، قال الله تبارك وتعالى: **{وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ}** [سورة الأعراف، 179]، أي: هم الغافلون عما حولهم، وعما يحيط بهم، وعما يؤثر فيهم تأثير القيوم على ما هو قائمٌ عليه.

فعلاقةُ عالمِ المادة – أي: عالم الشهادة – بعالمِ الغَيْب علاقةُ الضوءِ بالطاقةِ الكهربائية، وعلاقةُ ضياءِ الشمس بالشمس في أنّه لا يوجد حاجزٌ بينهما، لا علاقة اليد بالقلم؛ فإنّ هناك فرقاً بين علاقة "ذي الأداة بالأداة" وبين علاقة "المُحيط بالمُحاط"؛ فإنّ بين "ذي الأداة والأداة" وجودين منفصلين أحدهما اليد والآخر القلم، بينما بين الضوء والطاقة الكهربائية أو بين ضياء الشمس والشمس ليس هناك وجودان منحازان منفصلان؛ بل وجودُ أحدهما بالنسبة للآخر نسبة "المُحاط بالمُحيط"، أي: أنّ علاقة الشهادة بالغَيْب علاقةٌ اتصالية، بينما علاقة "ذي الأداة بالأداة" علاقةٌ انفصالية، وبين هذين النوعين من العلاقة فرقٌ شاسعٌ، وقد أُشير لهذه العلاقة الوثيقة بالآية الكريمة وهي قوله تبارك وتعالى: **{وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَٰلِكَ مَا كُنتَ مِنْهُ تَحِيدُ * وَنُفِخَ فِي الصُّورِ ذَٰلِكَ يَوْمُ الْوَعِيدِ * وَجَاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ * لَّقَدْ كُنتَ فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ}** [سورة ق، 19 – 22]، أي: أنّ هذا الذي يراهُ الإنسان في تلك الحظة وهي سكرةُ الموت كان معه من أوّل يوم، إلّا أنّه لَمْ يكن يراه، وعدم رؤيته له هو بسبب غفلته عنه، وإلّا لَمْ يكن حاجزٌ بين الإنسان وبين عالمِ الملكوت، ولَمْ يكن حاجز بينه وبين عالمِ الغَيْب سوى الغِطاء الذي يعيش فيه وهو غِطاءُ الزمكان، وحيث رفع الله تعالى عنه ذلك الغِطاء انكشف له ما كان غافلاً عنه.

فقوله تبارك وتعالى: **{فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ}** يعني أنّه لا يوجد غطاءٌ حقيقي ولا حاجز بين الغَيْب والشهادة وبين الملك والملكوت؛ وإنّما هو غطاءٌ نسجه الإنسان بمقتضى انفعاله بعالمِ المادة – أي: عالم الزمكان –، ولو سيطر الإنسان على قواه وغرائزه لأيقن بذلك العالم، كما ورد عن الإمام أمير المؤمنين عليّ (صلوات الله وسلامه عليه) أنّه قال: **(لو كشف لي الغطاء ما ازددت يقيناً)** [مناقب آل أبي طالب، ابن شهرآشوب، طبعة المكتبة الحيدرية، ج1، ص317 / كشف الغمة في معرفة الأئمة، المحدث الإربلي، ج2، ص1108]، أي: أنّ إدراك أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) لعالمِ الملكوت إدراكٌ كإدراكِ الملائكةِ المقربين الذين يعيشون في عالمِ الملكوت، بل هو أقوى.

فلا يوجدُ حاجزٌ حقيقي بين العالمين – عالم الشهادة وعالم الغَيْب – سوى الحاجز الذي نسجه الإنسانُ بنفسه على نفسه.

المطلب الرابع: الاستدلال على عالمِ الغَيْب.

إنّ مِن أوضح الأدلّة على وجود عالم الغَيْب هو الرُّؤيا الصَّادِقة، ولا ينكر بشر وجود الرُّؤيا الصَّادِقة؛ إذ قلّ ما يخلو منها بشر.

فما هو تفسير الرُّؤيا الصَّادِقة، وهو أنْ يرى الإنسان في منامه رُؤيا تتحقّق بعد شهر أو بعد سنة أو بعد سنين، فما هو وجه العلاقة بين الرُّؤيا وبين ما تحقّق بعد سنة أو بعد سنين؟

لا يوجد تفسير مادي إطلاقاً لهذه العلاقة بين الرُّؤيا الصَّادِقة وبين ما يتحقّق إلّا بالإيمان بوجود عالمِ الملكوت وأنّ وراء عالمِ الملك عالماً آخر يسمى بـ "عالمِ الملكوت"، وأنّ النفس حال النوم ترتقي وتتصل بعالمِ الملكوت، فإذا اتصلت به أدركت صور المستقبل وما يحصل من الحوادث، فكانت الرُّؤيا نتيجة الاتصال بذلك العالم رُؤيا صَادِقة، وإلّا فلا يوجد تفسير مادي يُبَرهِن على حقيقة الرُّؤيا الصَّادِقة.

وقد حاول بعض الملحدين الإجابة عن هذا الاستدلال: بأنّ الرُّؤيا الصَّادِقة من قبيل التَّنبُّؤ واستشراف للمستقبل، فكما يتَّنبّأ الإنسان بالحوادث نتيجة معطيات الواقع وقراءة الظروف فإنّه يمكن للنفس أنْ تستشرف المستقبل وتَتَنبّأ به وهذا ليس مِن باب وجودِ عالمٍ آخر غير وجود العالمِ المادي الذي يعيش فيه الإنسان.

ولكن يلاحظ على ذلك:

أولاً: إذا كانت لدى النفس قدرةٌ على التَّنبُّؤ بحوادث لَمْ تحصل بَعْدُ ولَمْ تحصل حتّى علَلُها وأسبابُها، كالرؤية التي يراها الإنسان ولا تحصل الحوادث المصدقة لها إلّا بعد سنة، فهذا اعترافٌ بوجود الغَيْب؛ لأنّ هذه القدرة جزءٌ مِن الغَيْب؛ إذ لا يوجد تفسيرٌ مادي لهذه القدرة وهي قدرة استشراف حوادث لَمْ تحصل بَعْدُ ولَمْ تحصل علَلُها ولا أسبابُها، فالإيمانُ بوجود هذه القدرة إيمانٌ بوجود غَيْب؛ لأنّ هذه القدرة جزءٌ من عالمِ الغَيْب الذي لا يوجد له تفسيرٌ مادي.

وثانياً: إنّ استشراف المستقبل حال النوم إمّا قبل وجوده أو بعد وجوده، أي: أنّ الحوادث التي تراها النفس حال النوم عن طريق الصور ثمّ تتحقّق في المستقبل إمّا غير موجودة بعد أو أنّها وجدتْ ومع ذلك لا يمكن أنْ يدركها الإنسان إلّا بطي الزمان.

فإنْ اِدعي الأوّل، وهو أنّ هذه الحوادث قَبل وجودها يمكن للنفس أنْ تُشْرِفَ فتُدرِكها، فهذا يعني أنّ لهذه الحوادث خيوط ومبادئ ليست محسوسة أدركتها النفسُ فأدركتْ آثارها ومعلولاتها التي تتحقّق في المستقبل، وإدراكُ النفس لتلك المبادئ والخيوط التي لا يمكن نيلها بالحسّ إدراكٌ لجزءٍ مِن الغَيْب.

وإنْ اِدعي الثاني، وهو أنّ هذه الحوادث لها وجود؛ حيث إنّ هناك مبنى علمي وهو أنّ جميع الحوادث موجودةٌ منذ أوّل يوم إلى يوم القيامة وإنّما الزّمنُ يمر فتنكشف لنا الحوادث، وإلّا فهي موجودة مِن الأوّل، أي: أنّ الذي قَطَّعَ الحوادث فجعل بعضها في اليوم وبعضها في الغد وبعضها بعد سنة – مع أنّ كلّها موجودة بالفعل – هو الزّمن، أي: أنّ الزّمن هو الذي حصَّص الحوادث وقطَّعها قِطَعاً على حسب الزَّمن.

فبناء على هذا المبنى العلمي يكون للحوادث وجودان: وجودٌ مجموعي ووجودٌ تدريجي بتدريجية الزّمن، والمفروض أنّ الوجود المجموعي لا يدركه مَن كان في إطار الزّمن؛ فإنّ مَن كان في إطار الزّمن لا يدرك إلّا الوجود التدريجي للحوادث، فإدراك النفس حال النوم لهذا الوجود المجموعي للحوادث الذي لا يتأطر ولا يخضع للزّمن إدراكٌ للغَيْب؛ إذ الوجود المجموعي مما لا يمكن نيله لمن كان متأطراً

بإطار الزّمن، فلا محالة الرُّؤيا الصَّادِقة بأيّ تفسيرٍ علمي فُسرتْ مرجعها إلى إدراك جزءٍ مِن عالمِ الغَيْب.

ويؤيد ذلك، ما رواه الطبرسي في مجمع البيان: (**رَوَى الْعَيَّاشِيُّ بِالْإِسْنَادِ، عَنِ الْحُسَنِ بْنِ مَحْبُوبٍ، عَنْ عَمْرِو بْنِ ثَابِتٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ (عَلَيْهِ السَّلاَمُ)، قَالَ: (مَا مِنْ أَحَدٍ يَنَامُ إِلاَّ عَرَجَتْ نَفْسُهُ إِلَى السَّمَاءِ، وَبَقِيَتْ رُوحُهُ فِي بَدَنِهِ، وَصَارَ بَيْنَهُمَا سَبَبٌ كَشُعَاعِ الشَّمْسِ، فَإِنْ أَذِنَ اللهُ فِي قَبْضِ الْأَرْوَاحِ أَجَابَتِ الرُّوحُ النَّفْسَ، وَإِذَا أَذِنَ اللهُ فِي رَدِّ الرُّوحِ أَجَابَتِ النَّفْسُ الرُّوحَ، وَهُوَ قَوْلُهُ سُبْحَانَهُ: (اَللهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا) الْآيَةَ، فَمَهْمَا رَأَتْ فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ فَهُوَ مِمَّا لَهُ تَأْوِيلٌ، وَمَا رَأَتْهُ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ فَهُوَ مِمَّا يُخَيِّلُهُ الشَّيْطَانُ وَلاَ تَأْوِيلَ لَهُ**)). [مجمع البيان في تفسير القرآن، الشيخ الطبرسي، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، ج8، ص404 / وعنه البرهان في تفسير القرآن، السيد هاشم البحراني، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، ج6، ص544].

المطلب الخامس: في المراد بالغَيْب في الآية الشريفة، في قوله تبارك وتعالى: {الم * ذَٰلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ * الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ * وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ} [سورة البقرة 1 – 4].

إنّ لعنوان "الغَيْبِ" هنا تفسيراتٌ ثلاثة:

التفسيرُ الأوّل: أنّ المراد بالغَيْب هو الله تبارك وتعالى، فإنّ الغَيْب المطلق بالأصالة هو الله سبحانه وتعالى وما سواه غَيْبٌ بالتبع، أي: ما سوى الله تعالى غَيْبٌ غَيَّبَهُ الله سبحانه وأما الغَيْبُ المطلق بالأصالة مِن دون تغييبٍ هو الله تبارك وتعالى، فعنوان الغَيْب ينصرف لما هو غَيْبٌ بالأصالة ألّا وهو الباري تبارك وتعالى.

التفسيرُ الثاني: أنّ المراد بالغَيْب أُصول الدين: "التوحيد، والعدل، والنبوة، والإمامة، والمعاد".

وبهذا يكون الفارق بين الآية الثالثة من سورة البقرة وهي قوله تعالى: **{الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ}** والآية الرابعة منها وهي قوله سبحانه: **{وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ}** هو الفرق بين الإجمال والتفصيل أو الإبهام والتفسير.

التفسيرُ الثالث: أنّ المراد بالغَيْب ظهورُ الإمام المهدي (عجل الله تعالى فرجه الشريف).

فقد ورد في الرواية الشريفة كما في كمال الدين وتمام النعمة: (**حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ مُوسَى بْنِ الْمُتَوَكِّلِ (رَحِمَهُ اللهُ) قَالَ: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى الْعَطَّارِ، قَالَ: حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ عِيسَى، عَنْ عُمَرَ بْنِ عَبْدِالْعَزِيزِ، عَنْ غَيْرِ وَاحِدٍ، عَنْ دَاوُدَ بْنِ كَثِيرٍ الرَّقِّيِّ، عَنْ أَبِي عَبْدِاللهِ (عليه السلام) فِي قَوْلِ اللهِ عَزَّ وَجَلَ: {هُدىً لِلْمُتَّقِينَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ} قَالَ: مَنْ أَقَرَّ بِقِيَامِ الْقَائِمِ (عليه السلام) أَنَّهُ حَقٌّ**). [كمال الدين وتمام النعمة، الشيخ الصدوق، دار الكتب الإسلامية، ج1، ص17].

وفي التعبير في سند الرواية بـ "عَنْ غَيْرِ وَاحِدٍ" أفاد سيدنا الخوئي (قدس سره الشريف) في موسوعته المباركة بقوله: (**وأما إذا روى الراوي عن غير واحد فهو كاشف عن كون الرواية معروفة متواترة أو ما يقرب منها عند الرواة، كما أن هذا التعبير بعينه دارج اليوم فتراهم أن القضيّة إذا كانت معروفة يقولون إنها مما نقله غير واحد، فمثله خارج عن الإرسال**). [التنقيح في شرح العروة الوثقى، كتاب الطهارة، مؤسسة الخوئي الإسلامية، ج6، ص98]، وكذلك أيضاً أفاد السيد الحكيم السبط (قدس سره الشريف) في مصباح المنهاج بقوله: (**لا سيما مع ظهور الإرسال عن غير واحد في اشتهار الحديث**) [مصباح المنهاج، كتاب الطهارة، ج3، ص87]، ومحلّ التأمل في سند الرواية هما: عمر بن عبدالعزيز وداود الرقي.

فإنّ الإقرار بقيام القائم (عجل الله تعالى فرجه الشريف) إقرارٌ بِغَيْب، والرواية الشريفة من التفسير المصداقي، لا من التفسير المفهومي أي: ليس مفهوم الغَيْب هو قيام القائم (عجل الله تعالى فرجه الشريف)؛ وإنّما من أجلى مصاديقه وأوضح نماذجه هو قيام القائم (عجل الله تعالى فرجه الشريف).

وقد أشكل الفخر الرازي كما في التفسير الكبير بقوله: (**الْمَسْأَلَةُ الْخَامِسَةُ: قَالَ بَعْضُ الشِّيعَةِ: الْمُرَادُ بِالْغَيْبِ الْمُنْتَظَرُ الَّذِي وَعَدَ اللهُ تَعَالَى بِهِ فِي الْقُرْآنِ وَالْخَبَرِ، أَمَّا الْقُرْآنُ فَقَوْلُهُ: {وَعَدَ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ}** [النُّور: ٥٥] **وَأَمَّا الْخَبَرُ فَقَوْلُهُ (عَلَيْهِ السَّلَامُ): (لَوْ لَمْ يَبْقَ مِنَ الدُّنْيَا إِلَّا يَوْمٌ وَاحِدٌ لَطَوَّلَ اللهُ ذَلِكَ الْيَوْمَ حَتَّى يَخْرُجَ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ بَيْتِي يُوَاطِئُ اسْمُهُ اسْمِي وَكُنْيَتُهُ كُنْيَتِي يَمْلَأُ الْأَرْضَ عَدْلًا وَقِسْطًا كَمَا مُلِئَتْ جَوْرًا وَظُلْمًا) وَاعْلَمْ أَنَّ تَخْصِيصَ الْمُطْلَقِ مِنْ غَيْرِ الدَّلِيلِ بَاطِلٌ**). [التفسير الكبير، الفخر الرازي، ج2، ص274].

والمقصودُ من قوله: (**أَنَّ تَخْصِيصَ الْمُطْلَقِ مِنْ غَيْرِ الدَّلِيلِ بَاطِلٌ**) أي: أنّ عنوان الغَيْب مطلَق فتخصيصه بالمهدي تخصيص باطل.

ويلاحظ عليه: أنّ هذا ليس من باب التخصيص؛ بل هو من باب بيان أحد المصاديق وأجلاها وأوضحها، فليس هو من باب تخصيص مفهوم الغَيْب بالمهدي (عجل الله تعالى فرجه الشريف) كي يقال بأنّ هذا تخصيص باطل كما ذُكِر.

ويكفينا من الروايات الشريفة معتبرة ابن أبي عمير، كما في كمال الدين وتمام النعمة: (**حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ زِيَادِ بْنِ جَعْفَرٍ الْهَمَدَانِيُّ (رَضِيَ اللهُ عَنْهُ) قَالَ: حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ إِبْرَاهِيمَ بْنِ هَاشِمٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ أَبِي أَحْمَدَ مُحَمَّدِ بْنِ زِيَادٍ الْأَزْدِيِّ قَالَ: سَأَلْتُ سَيِّدِي مُوسَى بْنَ جَعْفَرٍ (عليه السلام) عَنْ قَوْلِ اللهِ عَزَّ وَجَلَ: {وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظاهِرَةً وَ باطِنَةً}** [سورة لقمان، 20]، **فَقَالَ (عليه السلام): النِّعْمَةُ الظَّاهِرَةُ الْإِمَامُ الظَّاهِرُ وَالْبَاطِنَةُ الْإِمَامُ الْغَائِبُ، فَقُلْتُ لَهُ: وَيَكُونُ فِي الْأَئِمَّةِ مَنْ يَغِيبُ؟ قَالَ: نَعَمْ، يَغِيبُ عَنْ أَبْصَارِ النَّاسِ شَخْصُهُ وَلَا يَغِيبُ عَنْ قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ ذِكْرُهُ وَهُوَ الثَّانِي عَشَرَ مِنَّا يُسَهِّلُ اللهُ لَهُ كُلَّ عَسِيرٍ وَيُذَلِّلُ لَهُ كُلَّ صَعْبٍ وَيُظْهِرُ لَهُ كُنُوزَ الْأَرْضِ وَيُقَرِّبُ لَهُ كُلَّ بَعِيدٍ وَيُبِيرُ بِهِ كُلَّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ وَيُهْلِكُ عَلَى يَدِهِ كُلَّ شَيْطَانٍ مَرِيدٍ ذَلِكَ ابْنُ سَيِّدَةِ الْإِمَاءِ الَّذِي تَخْفَى عَلَى النَّاسِ وِلَادَتُهُ وَلَا يَحِلُّ لَهُمْ تَسْمِيَتُهُ حَتَّى يُظْهِرَهُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ فَيَمْلَأَ الْأَرْضَ قِسْطاً وَعَدْلًا كَمَا مُلِئَتْ جَوْراً وَ ظُلْماً**). [كمال الدين وتمام النعمة، الشيخ الصدوق، دار الكتب الإسلامية، ج2، الباب 34 باب ما روي عن أبي الحسن موسى بن جعفر في النص على القائم (عليه السلام) وغيبته وأنه الثاني عشر من الأئمة، ح6، ص368 – 369].

وحيث إنّه (عجل الله تعالى فرجه الشريف) النعمةُ الباطنة، والنعمةُ الباطنة مِن مصاديق الغَيْب كان (صلوات الله وسلامه عليه) مِن مصاديق الغَيْب.

والحمد لله رب العالمين